الإمام عبد الحي اللكنوي وكتابه ظفر الأماني

Phayilah Yama
Mohd Khafidz Soroni
Suriani Sudi
Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor

الملخص

تعد هذه الدراسة في التعرّف على العلامّة العملاق والفقيه البارع الإمام الجليل عبد الحي اللكنوي وإسهاماته في مجال علوم الحديث من خلال أحدى مؤلفاته العظيمة كتاب ظَفَر الأماني في شرح مختصر السيد الشريف الجرجاني، وهذا الكتاب تميّز في علم مصطلح الحديث بالنقاش والمراجحة بين الأقوال في المسائل المعضِلة كمسألة «العمل بالحديث الضعيف» و «الحديث الحسن» و «الحديث المرسل» و «الحديث المنكر» وسواها من أبحاث المصطلح التي جرى للعلماء خلاف فيها بين المحدثين والفقهاء، كما أن فيه تعقبات دقيقة للحفاظ الجهابذة الكبار، كالعراقي وابن حجر والسخاوي وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: الإمام اللكنوي، ظفر الأماني، مصطلح الحديث.

المقدمة

فقد اهتم علماء المسلمين قديما وحديثا بالسنة النبوية الشريفة كمصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وبذلوا جهودا عظيماً من أجل الحفاظ عليها وتدوينها وتمييز صحيحها من سقيمها وشرح معانيها واستنباط الأحكام منها وغير ذلك. ومن العلماء الذين بذلوا مجهوداتهم في خدمة السنة في العصر الحديث هو الإمام علامة الهند أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، من فقهاء الحنفية، ومجددي القرن الثالث عشر –رحمه الله–. ومن بين مؤلفاته كتاب "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني" من ضمن أهميةَ الكتاب بين كتب علوم الحديث ومكانةَ الإمام اللكنوي العلمية بالثناء عليهما.

المبحث الأول: نبذة عن الإمام اللكنوي:

اسمه:

العلامة عبد الحي اللكنوي: علامة الهند (١٢٦٤ – ١٣٠٤ هـ) هو عبد الحي بن عبد الحليم بن أمين الله بن محمد أكبر بن أبي الرحم بن محمد يعقوب بن عبد العزيز بن محمد سعيد بن الشهيد قطب الدين الأنصاري السهالوي اللكنوي. (الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ٥٧).

نسبه:

يقال له الأنصاري، نسبة إلى أبي أيوب الأنصاري – – صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم.– ويقال له اللكنوي: نسبة إلى لكنو (Lucknow)، وهي تقع على ضفتي نهر جومتى، عاصمة الولاية الشمالية (Uttarapardesh)، وفي عهد الاستعمار الإنجليزي، كانت عاصمة لبلدة أوده. (الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ٦٠).

مولده:

ولد في السادس والعشرين من ذي القعدة يوم الثلاثاء في السنة الرابعة والستين بعد الألف والمائتين. (الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ٦٨).

نشأته وتعلميه:

حفظ القرآن الكريم حين بلغ الخمس سنين، وفرغ من حفظه وهو ابن عشر سنين، ومنح منذ نشأته قوة الحفظ الواعية حتى قال عن نفسه وهو في عشر الأربعين "ورزقت قوة الحفظ من زمن الصبا، حتى إني أحفظ كالعيان جميع وقائع، تقريب قراءة الفاتحة، حين كان عمري خمس سنين".

أول ما قرأ على والده: بعض الكتب الفارسية والإنشاء والخط أثناء حفظه للقرآن، وكان يدارس والده فيه أيضا. و بعد أن فرغ من ذلك كله شرع في تحصيل العلوم الشرعية وآلاتها، فقرأ الكتب المدرسية في الفنون الآتية: الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والمنطق، والحكمة، والطب، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والحديث، والتفسير، وغيرها من العلوم. و كانت أكثر قراءته لهذه العلوم على والده، كما قرأ على خاله الشيخ محمد نعمت الله العلومَ الرياضية بعد والده.

أحب العلوم إليه: الحديث الشريف، وفقه الحديث وما إليه من علوم المنقول، مع تفوقه في العلوم العقلية، وقال عن نفسه: أنه يجد في تدريس الحديث الشريف وفقهه والتصيف فيهما من اللذة والسرور ما لا يجده في سواهما من سائر العلوم والفنون. (الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ٦٨).

شيوخه:

تتلمذ الإمام اللكنوي على عدد كبير من العلماء وكان من أبرزهم:

١- والده العالم الكبير محمد عبدالحليم، فدرس عليه كثيراً من الكتب.
٢- خال والده المفتي نعمة الله ابن نور الله اللكنوي.
٣- أحمد بن زيني الشافعي.
٤- المفتي محمد بن عبدالله بن حميد الحنبلي بمكة المكرمة.
٥- الشيخ محمد بن محمد الغرب الشافعي.
٦- الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد العمري الحنفي الدهلوي بالمدينة المنورة.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى في ليلة الأثنين الموافق الثلاثين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثمئة وألف، وكان عمره تسعة وثلاثين عاماً، ودفن بمقبرة أسلافه، وكان ذلك اليوم من أحزن الأيام، اجتمع الناس في المقبرة من كل طائفة وفرقة، وكان عددهم أكثر من أن يحصى، وصلوا عليه ثلاث مرات، وصلى عليه أهل الأمصار، ممن سمع بوفاته، صلاة الغائب. ((الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ٧٩).

مؤلفاته:

بلغت مؤلفاته نحو مائة وعشرة كتب (سلسلة الأعلام: ١٦٢). منها:

١- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة
٢- الفوائد البهية في تراجم الحنفية
٣- التعليقات السنية على الفوائد البهية
٤- الإفادة الخطيرة
٥- التحقيق العجيب
٦- التعليق الممجد

٧- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل
٨- ظفر الأماني في مختصر الجرجاني
٩- نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل
١٠- فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين
١١- طرب الأماثل بتراجم الأفاضل
١٢- إنباء الخلان بأنباء علماء هندستان

يعد الإمام اللكنوي من العلماء المكثرين في التأليف حتى فاق كثيرا من أقرانه، ومن بعده، بالرغم من قصر عمره الذي لم يتجاوز الأربعين. (الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي: ص ١٦٢).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني":

هذا الكتاب في الأصل شرحٌ للمُختصَر الذي ألَّفه الشريفُ علي الجُرجاني (ت٨١٦هـ)، كان الإمام الجرجاني من أعلام القرن الثامن للهجرة، وألف كتابًا مختصرًا في أصول الحديث سمّاه «المختصر في علوم الأثر»، فتناوله بعد ذلك الشيخ عبد الحيّ اللكنوي الشرح القيم بعد خمسة قرون من زمانه، وسمّاه «ظفر الأماني في مختصر الجرجاني» واستكمل إعداد هذا الشرح قبل وفاته بقليل سنة ١٣٠٤ للهجرة. (ظفر الأماني: ١٨).

تسمية الكتاب:

سماه المؤلف هذا الكتاب كما جاء في مقدمة كتابه "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني". يذكر المؤلف اسمًا آخر لهذا الكتاب في تأليفه الآخر «مقدمة عمدة الرعاية» وهو «ظفر الأماني بشرح المختصر المنسوب إلى الجرجاني»، والذي أتبعه بعد ذلك تلميذه محمد عبد الباقي الفرنجي محلي والمؤرّخ الشهير عبد الحيّ الحسني. وطبع هذا الكتاب سنة ١٣٠٤ للهجرة بمطبعة جشمة فيض في لكناؤ، ومخطوطته موجودة بقلم المؤلف في مكتبة آزاد بجامعة عليكره الإسلامية. (مقدمة ظفر الأماني ١٨).

سبب تأليفه:

كما ذكره المؤلف في مقدمته:

> "إن أجل ما صنف في علم أصول الحديث من المختصرات، المختصر المنسوب إلى الفاضل النبيل، والعالم الجليل، الجامع بين المعقول والمنقول، الحاوي على الفروع والأصول، سيد فضلاء دهره وسند علماء عصره مولانا السيد علي الشريف الجرجاني، تروح روحه بالكرم الرباني، لذلك تراه قد اشتهر كاشتهار الشمس في رابعة النهار وطار في الأمصار كالطائر

في الأقطار، ورأيت الناس في الزمان قد اشتغلوا بدرسه وتدريسه ولم أر له شرحاً حاوياً لأصول المطالب، وافيا بتحقيق المآرب، وذلك حين قراءة بعض المترددين إليّ المختصر المذكور عليّ".(انظر مقدمة ظفر الأماني: ص١٨).

بسبب أهمية ما صنفه الإمام الجرجاني في علم أصول الحديث، واشتغلوا الناس في دراسته وتدريسه، غير أن هذا المصنف لم يوجد له شرح لحل جليه وخفيه، لذلك فكر الإمام اللكنوي في شرحه وتوضيحه.

وأما ما قال تلميذه محمد عبد الباقي:

"إن كتاب نزهة النظر شرح نخبة الفكر" لابن حجر وجيز لم يفصل فيه ما بد من تفصيل فيه ولم يحقق فيه ما لا جرم من تحقيقه، لم يفد الطالب حق الإفادة ولم يستفد منه الشائق كمال الاستفادة، فإذا طبع كتابي ظفر الأماني لأضعه في التدريس للإفادة مقام النزهة شرح النخبة، لكن لم يتفق له ذلك إلى أن وصل إلى الله المالك. (حسرة الفحول لمحمد عبد الباقي: ص٣٩).

من خلال ما اقتبسنا من الأقوال السابقة اتضح لنا هناك سببين رئيسيين:

أولاً: أن مختصر الجرجاني في حاجة ماسة إلى حل جليه وخفيه.

ثانياً: أنه رأى أن كتاب نزهة النظر لابن حجر تعتبر من أهم وأشهر الكتب التي ألفت في علم الحديث وتداولته أيدي العلماء قديماً وحديثاً. (الندوي، ولي الدين: الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء. ص ١٩٤).

مدة تأليفه:

بدأ الإمام اللكنوي في تأليفه سنة (١٢٨٥هـ) وانتهى سنة (١٣٠٤هـ) أي استغرقه في التأليف حوالي ١٩ سنة، وهذا الكتاب كان من آخر مؤلفاته، حيث توفي بعد انهائه بشهر وثمانية عشر يوما فقط. (اللكنوي : ص١٨). وطبع هذا الكتاب سنة ١٣٠٤ للهجرة بمطبعة جشمة فيض في لكناؤ، ومخطوطته موجودة بقلم المؤلف في مكتبة آزاد بجامعة عليكره الإسلامية.

بين يدي الكتاب:

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه الدكتور تقي الدين الندوي، أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الإمارات العربية المتحدة وهذا الكتاب مكوّن من خمسة مائة وخمسة وستون صفحة.

وقدَّم له الشيخُ أبو الحسنات النَّدْوِيُّ على رغبةٍ من محقِّقه الدكتور تقي الدين النَّدْوِيّ، وتحدَّث في مقدمته عن أهمية "علم مصطلح الحديث" وعن اعتناء علماء الحديث به في كل عصر، ثم عرَّف بهذا الكتاب ومؤلِّفِه الشيخ عبد الحي اللكنوي تعريفاً مختصراً، وذكر أهميةَ المؤلَّف بين كتب علوم الحديث ومكانةَ المؤلِّف العلمية بالثناء عليهما. (الغوري، قدم بحثه في المؤتمر الثقة ٢٠١٨: الشيخ الندوي وجهوده في الحديث).

منهجه في استنباط من السنة من خلال ظفر الأماني:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للأحكام الشرعية، وقد فصَّل الإمام اللكنوي في الكلام عنها ولاسيما في كتابه: (ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث)، فعرض فيه لكل مسألة من مسائلها مع تحقيقات بديعة خلت عنها الزبر الطوال، والسبب في ذلك هو العناية البالغة من قبل أهل الحديث في التفصيل والتفريع على هذا الأصل، وهذا واضح بَيِن من كتب مصطلح الحديث التي هي أقرب ما تكون أصولاً لهم في كيفية إعمالها وفهمها. ومعلومٌ أنَّ السنة هي ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وقد يعبر عنها بلفظ الحديث أو الخبر، قال الإمام اللكنوي:(التَّحقيقُ عند أرباب هذا الفن أنَّ الخَبَرَ مُرادفٌ للحديث)[ظفر الأماني،ص ٢٤]. (مقالة (٢٠١٥): منهج الإمام اللكنوي في الاستنباط في السنة النبوية: http://masjidsalahudin.com/?p=666).

من خلال استنباطه من السنة نجد أنه يتمذهب بالمذهب الحنفي ذلك من خلال ما نقطفه من شروط قبول خبر الآحاد:

كما وضح في اكتنفت هذه المسألة الاختلاف شأنها في ذلك شأن غيرها من المسائل من حيث الضوابط والقواعد التي ينبغي أن تتوفر في الراوي والمروي للقبول، فقد اشترط بعض الحنفية في الراوي أن يكون فقيهاً، واشترطوا في الرواية أن لا تكون مما تعم به البلوى . كما سيأتي بعد قليل .، ونجد الإمام اللكنوي لا يشترط شيئاً مع ثبوت صحَّة الحديث، فيقول في (ظفر الأماني،ص٦٤-٦٥): (لا يتوقَّفُ قبول خبرِ الواحد بعد ثبوت صِدقِ

ناقله، وسلامته عن العلل القادحة في القبولِ، على أمرٍ آخر... فلا تشترط الذُّكورةُ... ولا البصَرُ، فتُقبَلُ روايةُ الأعمى... ولا عدَمُ القَرابة، فيُقبَلُ للوالد ما للولد ... ولا عَدَمُ العداوة، فيُقبَلُ للعدُوِّ ما على العَدُوّ ... ولا الإكثارُ من الرِّواية، فتُقبَلُ رِوايةُ قليل الرُّواية...، وكذا لا يشترط كون الرَّواي معروف النَّسبِ، ولا العلمُ بالفقه، أو العربيةِ) . (المقالة: منهج استنباطه في السنة).

الخاتمة:

ومع أن الإمام عبد الحيّ قام في هذا الكتاب بشرح قيّم متداول غير أن الكتاب بأمس الحاجة إلى المزيد من التحقيق والتعليق. لكي يسهل على الباحث وطلاب العلم في التعرف على المزيد والتوسع في أهمية هذا الكتاب.

المصادر والمراجع:

١- **اللكنوي**، أبو الحسنات محمد عبد الحي (١٢٦٤-١٣٠٤هـ): **ظفر الأماني في مختصر الجرجاني**، حققه د. تقي الدين الندوي، الجامعة الإسلامية أعظم كده: الهند.

٢- **الندوي**، ولي الدين، (١٩٩٥): . **الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء (١٢٦٤ – ١٣٠٤ هـ)**، سلسلة من أعلام المسلمين (٥٤). دار القلم: دمشق.

٣- **مقالة (٢٠١٥): منهج الإمام اللكنوي في الاستنباط في السنة النبوية:**

.(http://masjidsalahudin.com/?p=666

٤- **الغوري**، سيد عبد الماجد الغوري، (٢٠١٨): **الشيخ أبو الحسن الندوي وجهوده في خدمة الحديث النبوي**، بحث مرسل في مؤتمر الدولي الثقة).